رحلة اليقين ٧)جزء ١ من ٢(: رصاصة دارون على الإنسانية

إياد قنيبي

تَصوّر أنّنا في بلدٍ يكثُر فيها القرود، ويُشاطرون السكان البشريّين لقمة العيش. - 00:00:00
ومع ذلك، أطعَمنا هذه القرود، زوّدناها بالمساكن، عالجناها - 00:00:06
وعاملناها كالبشر تمامًا - 00:00:10
وكان هذا كلُّه على حسابِ البشرِ الحقيقيّين - 00:00:13
فلم نُوازن بين الرّفق بالحيوان والرّفق بالإنسان، - 00:00:16
فتكاثرت القرود، وتلاشى البشر. - 00:00:19
هل يكون هذا تصرُّفًا أخلاقيًا؟ - 00:00:22
وما علاقة هذا بالإلحاد؟ - 00:00:25
هذا ما سنعرفه في هذه الحلقة - 00:00:27
)مؤثرات صوتية(- 00:00:29
]الإلحاد وعالم القرود[- 00:00:40
الحمد لله، والصّلاة والسّلام على رسول الله، - 00:00:43
رأينا في الحلقةِ الماضيةِ دلالةَ النّزعةَ الأخلاقيّةَ على وجودِ اللهِ، - 00:00:46
وأنّ المُنكِر لوجوده تعالى يَفقدُ أيّ أساسٍ للأخلاق. - 00:00:49
اليوم، سنرى أنّ هذا الإنكار -أي هذا الإلحاد- لا يقفُ عند هذا الحدِّ، - 00:00:53
بل هو سببٌ في الإجرامِ والعدوان. - 00:00:58
الملحِدون حين أنكروا الله، لَجأ مُعظَمُهم إلى ما يُعرف بنظرية التطوّر لداروين "niwraD selrahC"، - 00:01:01
كتفسيرٍ لوجود الإنسان، - 00:01:06
وسنُناقش هذه النظرية نقاشًا علميًا في الموضِع المناسب بإذن الله، - 00:01:08
وإنّما يَعنينا هنا الإشارةُ إلى بعضِ النتائج الأخلاقيّةِ للتطوّر الداروينيِ، - 00:01:12
لِنرى، هذا الذي تبنّى التطوّر كبديلٍ عن وجود الله، - 00:01:16
هل زوّده هذا البديل بأيّ أساسٍ للأخلاق؟ أمْ على العكسِ تمامًا؟ - 00:01:21
التطوُّر الداروينيِ يقوم على أنّ - 00:01:26
الكائنات جاءت عَبْر تطوُّر خليةٍ أولية بطَفراتٍ عشوائيّة وانتخاب طبيعي. - 00:01:28
الانتخاب الطبيعي يعني - 00:01:33
أنّ البقاءَ في هذه الطبيعةِ هو للكائنِ الأصلحِ في قدرتِه على التكيُّف مع الطبيعة، - 00:01:34
و البقاء للأصلح يعني الصّراع مع الكائناتِ الأخرى الأحطّ في السُلّم التطوُّريّ. - 00:01:39
فالصراعُ هو قانون الطبيعة حَسْب داروين، نَشَرَ ذلك في كتابه)أصل الأنواع(، - 00:01:43
ثُمّ في كتابه "naM fo tnecseD ehT")أصل الإنسان(. - 00:01:49

سحب داروين نظريّته على الإنسان، واعتبر أنّه تطوّرَ من أصلٍ شبيهٍ بالقرود، - 00:01:52
وحين يتكلّم داروين عن الإنسان الأرقى تطوُّريًا، فإنّما هو يقصد الأوروبيّ الأبيض، - 00:01:57
أمّا باقي الأجناس، فهم عند داروين - 00:02:03
في مرحلةٍ وسطى بين القرود والغوريلّا وسلفِهم وبين الإنسان، يعني لم يكتمل تطوُّرهم بعد. - 00:02:05
بنى داروين ذلك على كونِ هذه الأجناس - 00:02:12
أقربَ من الأوروبيّين إلى القرود في نظره في بعض الصفات كلَون البشرة، أو محيط الرأس، - 00:02:14
أو تَفلْطُح الأنف، أو بروز الجبهة للأمام، أو كِبَر حجم الفكّ أو الشفتين، - 00:02:20
ثم استنتج داروين أنّ الأعراقَ الراقية من الإنسان - 00:02:24
لن تُتابع الارتقاءَ التطوّريّ إلّا من خلال الصراع لإبادةِ الأعراقِ المُنْحَطّة، - 00:02:28
وهذا هو أساسُ الداروينيّةِ الاجتماعيّةِ "msiniwraD laicoS" - 00:02:33
والتي تعني تنزيلَ قوانين داروين في الأحياءِ على علمِ الاجتماع. - 00:02:37
وعليه، فلا مانعَ أنْ تَقوم الأجناسُ التي تَعتبر نفسها أكثر تطورًا داروينيًا - 00:02:41
باصطيادنا في الطرقاتِ، وسلبِ مُمتلكاتنا وتسخيرنا لِمنفَعتِهم، - 00:02:46
تمامًا كما نفعلُ نحن بالحيواناتِ، - 00:02:51
لأنّنا حسبَ داروين مُجرّد حيواناتٍ أكثَرُ تطوُّراً من سائر الحيوانات، - 00:02:54
فما نفعله نحن بالحيوانات، يمكن أن يفعله بنا من هم أكثَرُ تطورًا منّا. - 00:02:58
لحظة!! - 00:03:04
هذا ليس مُجرّد افتراض، هذا حَصَلَ بالفعل.. - 00:03:05
كيف؟ - 00:03:08
يقول تشارلز داروين في كتابِه)أصلُ الإنسانِ(في الفصلِ السادس: - 00:03:10
)بالإنجليزيّة("في فترةٍ مستقبليّةٍ ما ليست ببعيدة -إذا ما قِيست بالقرون- - 00:03:14
ستَقوم الأجناس المتحضّرة من الإنسان، - 00:03:31
وبشكل شِبه مُؤَكّد بإبادة واستبدال الأجناس الهَمَجيّة عَبْر العالَم" - 00:03:34
أطلق داروين بأفكاره هذه الرصاصة على إنسانيّة الإنسان، - 00:03:40
واستند عليها الأوروبيّون للقيام بإباداتٍ جماعية وحملات تطهيرٍ عِرقيّ، - 00:03:44
خاصّةً ضد الإفريقيّين، وسُكّان الأمريكتين وأستراليا الأصليين، - 00:03:50
فهؤلاء أقربُ للحيواناتِ في نظرِ الداروينيّين. - 00:03:54
صحيحٌ أنّ كثيرًا من المُمارساتِ الإجراميّةِ كانت تَتِمّ قبل انتشار فكرةِ التطوّر الداروينيّ، - 00:03:57
لكنّ هذه الفكرةَ أراحَتْ ضمائرَ المجرمينَ، - 00:04:03
فقد أصبح لِجَرائمهم مبرّرٌ علميٌ، - 00:04:06
فاسْتَمرّوا في أفعالهم، بلْ وتَصاعدَت وتيرتُها. - 00:04:09
مَلَفّ الإجرام الذي مُورِسَ كبيرٌ جدًا، لا يتّسِع له المقام، - 00:04:13
لكن، إشاراتٌ سريعة تُقَرّب لك الصورة.. - 00:04:17
بعد فكرة التطوّر الداروينيّ، بدأت حملاتُ إبادةِ سُكّان أستراليا الأصليّينَ - 00:04:20
في أواخر القرن التاسع عشر، - 00:04:25

وقالَ نائبُ رئيسِ الجمعيّةِ المَلَكيّةِ في تاسمانيا "ainamsaT" -إحدى جزرِ أستراليا- - 00:04:27
جيمس برنارد "dranreB semaJ" عام 0981: - 00:04:31
" لقد أصبح مُسَلَّمَةً بديهيّة أنّه ووفقاً لقانونِ التطوّرِ والبقاءِ للأصلح، - 00:04:34
فإنّ الأعراقَ الأحطّ من الجنسِ البشريّ يجب أن تُفسِح المجال للأنواعِ الأعلى" - 00:04:39
وسنقومُ بوضعِ روابطَ للتوثيقِ عندَ ذِكرِ المعلومةِ وفي التعليقاتِ، - 00:04:45
لأنّ الحقائقَ صادمةٌ، تكادُ لا تُصدّق. - 00:04:49
وشملت الحملات سرقةَ أعدادٍ كبيرة من الأطفالِ الأستراليّين الأصليّين، - 00:04:52
وتمّ إرسالُ أعدادٍ كبيرةٍ منهم - 00:04:56
إلى متاحف التاريخ الطبيعيّ في أمريكا وبريطانيا، - 00:04:58
لتحديد ما إذا كانوا يُشَكِّلون الحلقةَ المفقودةَ في طريقِ تطوّرِ الحيوانِ إلى إنسان. - 00:05:01
وقد اعتذرَ رئيسُ وزراءِ أستراليا كيفن رود "dduR niveK" - 00:05:08
للأجيال المسروقة، قبل 9 سنوات فقط، في 31 فبراير 8002. وانتشرَ الخبرُ بعنوان: - 00:05:10
"الإعتذارُ الرسميّ من كيفن رود للأجيالِ المسروقةِ" - 00:05:17
هذا بالاضافةِ إلى إحداثِ العقمِ بشكلٍ قَسريّ جَبريّ، - 00:05:21
والذي كان يمارسه الداروينيّون عَبْرَ العالَم على العِرقيّات التي يعتقدون أنّها أحطُّ تطوُّريًا، - 00:05:24
أو الذين يحملون صفاتٍ وراثيّة غير مرغوبٍ بها. وبالتالي، فهؤلاء عِبءٌ على الطبيعة، - 00:05:31
فوَجب إحداث العُقم فيهم لينقرضوا ويَتحقّق تحسين النسل أو ما يعرف بالـ "scineguE". - 00:05:37
وللعلم... فقبلَ عامين فقط في فبراير 5102، وافق نوّاب البرلمان الأمريكي - 00:05:43
على حصول كلّ ضحيّةٍ ما زال حيًا من ضحايا التعقيم القسري على 52 ألف دولار، - 00:05:48
وذلك بعد مَاراثون طويل نتيجةَ ما أقَرّته المحكمة العليا الأميركية في 7291 - 00:05:54
من قانونِ التعقيمِ لتحسينِ النسلِ في ولايةِ فرجينيا. - 00:06:00
يَعتذرون عن الأجيال المسروقة، ويُعوّضون عن التعقيم، - 00:06:04
لكن السؤال الذي يَطرح نفسه: - 00:06:08
هل هم بذلك يَتبَرّأون من التطوّرية الداروينيّة ويَتراجعون عنها؟ - 00:06:10
هل هم باعتذارهم يُقرّون بأنّ النّاس جميعًا سواسيةٌ من الناحية البيولوجيّة؟ - 00:06:15
أبدًا. - 00:06:19
بل لا زالوا يَتَبنّون الداروينيّة، ولا زالت عقيدتها في نفوسهم. - 00:06:21
وبدافع الداروينيّة أيضًا، - 00:06:26
أقنع البِيضُ بعضَ القبائلِ الإفريقيّةِ أنّها أرقى تطوُّريًا من قبائلَ أخرى، - 00:06:27
لِاختلاف طول الأنف أو ارتفاع القامة، إلى آخره... - 00:06:32
وكان ذلك أحد الدوافع - 00:06:34
لحروب إبادةٍ بين هذه القبائل التي كانت تعيش بسلام، - 00:06:36
كما في مأساةِ رواندا "adnawR" - 00:06:40
بين التوتسي والهوتو"utuH dna istuT". - 00:06:41
في الأخلاقيّات الداروينيّة، - 00:06:43

فإنّه لا مانع لأمّةٍ أن تضع مَنْ تَراهم أقلّ منها تطوّراً في حدائقِ إنسان، - 00:06:45
تمامًا كما نضعُ الحيواناتِ في حديقة الحيوان. - 00:06:50
والمفاجأةُ أنّ هذا ليسَ افتراضًا، بل حصل بالفعل، - 00:06:53
بل وشكّل ظاهرةً في أمريكا ودولٍ أوروبيّة عديدة، - 00:06:56
تجد عنه معلوماتٍ وصورًا على الشبكة العنكبوتية - 00:07:00
تحتَ عنوان: هيومن زوز "sooZ namuH"، أي حدائق الإنسان، - 00:07:02
هناك أرشيفُ صورٍ مؤلم، ومقالاتٍ كثيرةٍ عن الموضوع، - 00:07:06
مثل الذي بعنوان: "التاريخُ المَنسيّ لحدائقِ الإنسان"، - 00:07:09
لكنّها مقالاتٌ تحتوي صورًا مكشوفة، لأنّ بعض حدائق الإنسان - 00:07:12
كانت تَمنع هؤلاء البشر من ارتداء الملابس، بل تَتركهم عراةً تمامًا، رجالًا ونساءً، - 00:07:17
والمطلوب منهم أن يخرجوا لزوّار الحديقة، - 00:07:23
ويَستديروا ليتأمّل هؤلاء "الرّاقون" تلك المخلوقاتِ على اعتبارِ أنّهم حيوانات. - 00:07:26
هذه طفلةٌ في بروسيلز "slessurB" في بلجيكا - 00:07:32
عاملها البِيضُ على أنّها أحطّ منهم في السلّمِ التطوّريّ، - 00:07:34
فكانوا يحتفظون بها في قفص، ويطعمونها كالحيوانات. - 00:07:37
وهذا أوتا بنغا "agneB atO" عام 6091، - 00:07:41
والذي قتل التجّارُ أهلَه وقبيلتَه في إفريقيا، - 00:07:43
ليبيعوه إلى الداروينيّن الذين اعتبروه دليلًا على التطوّر، - 00:07:46
وكان مطلوبًا منه أن يَتصوّر مع الشامبانزي - 00:07:50
في حديقة برونكس "xnorB" في نيويورك "kroY weN" - 00:07:53
ومِثلُه كثير... - 00:07:55
وهذه الصورة في فرنسا، امرأةٌ مع طفلها في حديقةِ إنسان، - 00:07:57
وهذه صورةٌ من قريةِ زنوجٍ في فرنسا، حيث كان السُّود يُستعرَضون مع الحيوانات، - 00:08:01
وقائمةُ المآسي الداروينيّة تطولُ.. - 00:08:06
بل لم يَسلم الداروينيّون من شرّ أنفسهم، و بِاسم الداروينيّة أيضًا، - 00:08:08
فبعضهم رأى نفسَه أرقى من البعضِ الآخر تطوّريًا، - 00:08:13
فبعد 04 عامًا من كتاب داروين)أصل الإنسان(، قامتِ الحربُ العالميّة الأولى. - 00:08:16
ما علاقة الحربُ العالميّة الأولى؟ - 00:08:22
أليس سببُها حسبما تعلّمناه في المدارس - 00:08:23
هو اغتيالَ وليّ عهد النمسا وزوجتِهِ مِنْ قِبَل طالب صربيّ؟! - 00:08:26
هذه كانت مُجرّد شرارة، لا تُفسّرُ اشتعال أوروبا كلّها خلال أيّام لتنخرطَ في هذه الحربِ. - 00:08:30
إنّما كانت هناك عواملٌ شحنتِ النّفوسَ للحرب، - 00:08:37
أسبابٌ دينيّة، سياسيّة... ومن أهمّ الأسباب انتشارُ الداروينيّة الاجتماعية، - 00:08:40
التي هَيّأت كثيرًا من الأوروبيّين المؤمنين بها لدخول الحرب، والتصرُّفِ فيها كحيواناتٍ برّيّةٍ، - 00:08:45
فالصراع وسفك الدماء هو قانون الطبيعة عندهم، - 00:08:51

وقد ذكر هذا الدور الداروينيّ في الحرب، كثيرٌ من الكُتّاب - 00:08:55
كالكاتب البريطاني جيمس جول"eluoJ semaJ" في كتابه)منابع الحرب العالميّة الأولى(، - 00:08:58
وكذلك ريتشارد هفستاتر "retdatsfoH drahciR"، - 00:09:03
في كتابه:)الداروينيّة الاجتماعيّة في الفكر الأمريكي(، - 00:09:04
والذي أَلّف أثناء الحرب العالمية الثانية. - 00:09:08
بل وأنتجَ الفكرُ الداروينيّ كبارَ السفاحيّن - 00:09:11
كهتلر "reltiH" الذي أسّس النازيّة على تَمَيُّز العرق الآريّ الألمانيّ، - 00:09:13
كما في كتاب:)الداروينيّة وهولوكوست العِرقيّة النازيّة(، - 00:09:17
وستالين "nilatS"، كما في كتاب)علامات في حياة ستالين(ليرسلافسكي "yksvalsoraY"، - 00:09:21
والذي جاء فيه: "في سنٍّ مبكِّرةٍ جداً، وبينما كان لازال تلميذًا في المدرسة الكَنَسِيّة، - 00:09:25
نضجَ لدى الرفيق ستالين العقل النّقدي والمشاعرُ الثّورية، - 00:09:31
حيث بدأ القراءةَ لداروين وأصبح ملحداً". - 00:09:35
وقبل عامين، نشرت السي إن إن "NNC" الأمريكية - 00:09:39
تقريراً بعنوان : "الحربُ مظهرٌ من مظاهر الداروينيّة الاجتماعية" - 00:09:41
خَلُص الى العبارة التالية: - 00:09:46
"عندما تَلعب الداروينيّة الاجتماعية في غابةِ السياساتِ الدوليّةِ، - 00:09:48
فإنّ الحروبَ تبدو حَتميّةً" - 00:09:52
هنا سيقولُ لكَ الملحدُ: "هناكَ في المقابلِ حروبٌ لا تُحصى بدوافعَ دينيّة" - 00:09:56
أولاً- لا يعنينا المقارنةَ بالأديان بعُمومها، - 00:10:01
فمِنها الحقُّ، ومنها المُحرّفُ، ومنها الباطلُ، - 00:10:04
لكن نقول هنا: - 00:10:06
نحن نتكلّم عن داروينيّةٍ - 00:10:07
الحربُ فيها هدفٌ بِحدِّ ذاتها، ولا أخلاقَ لها ولا ضوابطَ، - 00:10:09
وليس هذا سُوءَ ممارسةٍ لها، بل هي كذلك.. هذا فِكرُها.. - 00:10:13
أمّا الحروبُ في الإسلام، فسنناقشُ لاحقاً بالتفصيلِ بإذنِ اللهِ، - 00:10:17
إنْ كانت هدفاً بحدِّ ذاتها، وما أهدافُها وضوابطُها وأخلاقيّاتُها، - 00:10:21
وحتى ذلكَ الحين، سنَضعُ في التعليقاتِ محاضرةً كنّا نشرناها عن الموضوع. - 00:10:25